قائدة الجيش (١)

الجنرال بلاتوف رجل بهي الطلعة مفتول العضل قوي البنية يظهر للرائي انه أصغر سناً مما هو عمره الحقيقي وكان رئيساً لي يقود فرقة من جيش المتطوعين لمحاربة البلاشفة . دعاني ذات يوم الى مكتبه وقال :

— ايها القبطان ! اريد أن أعهد اليك بمهمة هامة وهي السفر الى الاستانة وتسليم قائدها الروسي رزمة من الاوراق !

— ثم أمرني بالجلوس وقال اسمع ما أقول : أنت تعلم ان مركزنا الحربي على غير ما يرام وأمامنا معارك هائلة يتلاقيها الانتصار أو الاندحار والحظ سجال اما اننا أو علينا وان وجود عائلاتنا معنا أمر يدعو الى القلق وشغل البال بل يدعو أحياناً الى نوبات عصبية تفسد على القائد خططه وتشوش أفكاره . انك ياصاح رجل عازب وأما أنا فلي زوجة وولدان . ثم سكت القائد واستغرق في افكاره وبعد فترة قال : واني سأعهد لك غير المهمة الأولى الرسمية بمهمة أخرى تخصني أرجوك قضاءها وهي أن تعتني بأمر عائلتي التي تسافر معك على باخرة واحدة الى الاستانة وهناك تدبر أمرها

فاجبته : انك محق في نظرتك واني مستعد لتنفيذ أوامرك . وفي اليوم التالي أعد الأوراق . وكان قائدي قد عرفني بزوجته من قبل وقابلتها بعد ذلك مرتين أو ثلاث مرات بطريق المصادفة . هذه كل معرفتي بزوجة القائد ايلين بتروفنا وكانت سيدة ربعة القامة مملوءة الجسم ذات عينين مجلاوين جميلتين جذابتين طلية الحديث تؤثر على سامعيها تأثيراً منعشاً وكان رجال الجندية يروون عنها أن لها تأثيراً شديداً على زوجها الجنرال لانها ساعدة اليمين في خططه واجراءاته وتعييناته

أخذت السيدة تؤهب معدات السفر بسرعة ونشاط وتضع في الحقائب

(١) جمع أحد الكتاب الروس عدة روايات حقيقية روى فيها أنبا الشجاعة والوطنية الصادقة التي اظهرها الروسيون والروسيات في مقاومتهم للبلاشفة وروايتنا اليوم حقيقية وقعت

والصناديق الملابس وغيرها وكان القائد ينظر اليها وهي تقوم بعملها بوجه مقطب تلوح عليه علامات الانزعاج والحزن ثم التفت اليّ وقال : هل تريد أيها القبطان كأساً من النبيذ ؟ فأجبته اني أشعر بألم في كليتيّ فاعفني من هذا . فالتفت اليّ السيدة ايلين وقالت : أما أنا فلا أعفيك من ذلك وبادرت وملأت قدحين من النبيذ المعتق وناولتني أحدهما فشربت وشربتْ . ثم جلست على كرسي بالقرب مني والتفتت الى زوجها وقالت له : يلزمني ابتياع عدة أشياء للأولاد ربما لانجدها في الاستانة واستطردت الكلام وقالت لاريب ان القبطان يساعدني بشتراها فأحنيت رأسي علامة الخضوع ثم ارتدت قبعتها والتفتت اليّ وقالت : انا حاضرة فهلم بنا

فخرجنا معاً وما ابتعدنا عن المنزل قليلاً حتى لحظت ان انشراحها الذي كانت عليه في المنزل قد زال وقد تقطب وجهها وكأن أفكاراً هامة شغلت بالها وسببت لها الاضطراب

ثم رفعت رأسها فجأة وقالت: هكذا يجب أن يكون. ثم قالت لي. هلم أيها القبطان ندخل هذا المطعم لأني أريد أن أحادثك بأمر هام لايجوز أن أحادثك به في الطريق

فلبيت دعوتها وجلسنا في غرفة منفردة وطلبنا طعاماً وزجاجة نبيذ وكانت تلوح على وجهها امارات الاهتمام بأمر ذي بال ثم قالت لي : اطلب كأسي كنيابك فطلبت فشربت هي القدح تلو الآخر ثم قالت : والآن يجب ان أحدثك بما في نفسي اني أيها القبطان لا أريد السفر الى الاستانة مطلقاً . فدهشت لدى سماعي هذا منها حتى نهضت واقفاً وقلت : لماذا لاتسافرين ؟

فقالت : اني لاأسافر مطلقاً واسمع بقيه حديثي. أنت توصل الولدين الى الاستانة وأنا أعطيك رسالة الى صديق لي مقيم في بيرا وهو تاجر معروف فيتسلم منك الولدين واني اعطيك عدا هذا عدة رسائل ترسلها تباعاً الى زوجي من الاستانة كأني أنا المرسلتها له قالت هذا وضحكت ودفعت اليّ عدة رسائل وقالت بهذه الرسائل أصف لزوجي عيشتنا في الاستانة وما نعمله فيها وكيف نقضي أوقات فراغنا واعلم بأني اعرف تلك الناصحة معرفة تامة وقضيت فيها سنة في ليلم حداثتي فاذا وصلت الى زوجي لايشك بأني موجودة في الاستانة

فاحتجت على تصرفها هذا وقلت : انني جندي وقد وعدت رئيسي بتنفيذ أوامره وأنا لا أحيد عن وعدي قيد شعرة

فاستفزها الغضب وقالت : ان الواجب يقضي علينا الآن بأن لا نفكر بالفائد او الفائدة بل يجب علينا أن نهتم بأمر الوطن . ان الوطن في خطر واقع . والوطن يحتاج الى أشخاص عاملين ثابتي العزيمة يضحون نفوسهم على مذبح انقاذه ويخلدون لهم ذكراً على الابد . . . أجل اني سيدة ولكن بين جوانحي قلباً متقدة وفؤادي مشتعل يحب الوطن وخيره وهذا يرغمني أن لا أقيم في الاستانة مكتوفة اليدين بل يرغمني على البقاء هنا الى جانب أبناء وطني والمحاربة معهم كتفاً الى كتف. اني اكره القول بأني امرأة ولكنني ذات ارادة قوية وعزم وحزم بل ان في عروقي دماً يشهد بأني لست أقل من الرجال قوة ونشاطاً . وفي هذه الاوقات الحرجة يجب على كل واحد ان يضحي كل شيء في سبيل الوطن . وما قيمة الحياة بالنسبة الى الوطن المفدّى . يجب على كل واحد وواحدة ان يجد في نفسه شجاعة للسير الى ميدان القتال ويحمل العذاب والألم وشظف العيش كل ذلك ليرى الناس وطنه حراً سعيداً زاهراً ثم اسندت ظهرها على الكرسي واستغرقت في الافكار ثم رفعت رأسها وقالت هكذا يجب وهكذا ينبغي واني لا أطلب منك شيئاً كثيراً بل اطلب (اولا) ان تكتم عن زوجي أمر عدم سفري (ثانياً) ان لا تخبر أحداً عن مكان وجودي مادمت على قيد الحياة . وانك لا تبوح بشيء مما تم بيننا واذا سألك أحد عني فقل له : لا أدري أين هي . فهل فهمت وهل قبلت مطالبي

فألقيت نظرة على هذه السيدة فرأيت على وجهها أمارات الحزم وحب الوطن وانها مدركة تمام الادراك الحالة العصيبة التي يجتازها الوطن فلذلك اجبتها مرغماً بدافع داخلي — نعم قبلت مطالبك — فقالت اني واثقة بأنك لا تقول — لا — لانك لو رفضت لغيرت ظني وثقتي بك ثم قالت ان سفرك وعودتك من الاستانة يستغرق اسبوعين لقلة البواخر في هذا الايام وهذا المسافة كافية لحدوث حوادث جسيمة واني أريد أن أكون على اتصال بك بالمراسلة وسأوقع رسائلي باسم «ناستيا» ثم قالت وأما الآن فزيارة

وعاد الاشراع بعد هذا اليها فغدت تمرح ودخلنا معاً مخازن عديدة ثم عدنا الى المنزل مصحوبين بزمم عديدة .

وفي صباح اليوم التالي صعدنا الى ظهر الباخرة وادخلت الوالدين الى غرفتهما وخرجت مع زوجة القائد الى ظهر الباخرة حيث قالت لي : لقد كلمت الوالدين بما يلزم وسيلازمان السكوت وأنا اعلم طاعتهما ومحبتهما لي والان أودعك ايها القبطان وصافحتني ونزلت بسرعة لاتلوي على شيء

ثم أقلعت الباخرة وسارت الهوينا ولاحظت أن زوجة القائد كانت تلوح لي بمنديل أبيض ثم اختفت بين الجماهير المحتشده على الشاطيء

***

وبعد ثلاثة أسابيع عدت من الاستانة وذهبت توا الى مقابلة القائد وبعد ان سألني عدة اسئلة عن المهمتين اللتين عهد بهما الي ولا سيما عن عائلته قال . ان مركزنا يزيد رداءة وحرجا . نعم ان معسكرنا مازال محافظا على مركزه ولكن القائد الشيوعي فرونزيه يقود قوات كبيرة وقائدنا فرانجل ما زال مطمئنا ولكني أرى ان مركزنا حرج ولا بد لنا من الاندحار . ومن جهة أخرى أقول ان جنودنا لم تفارقهم الروح المعنوية بل ما زالوا يظهرون بسالة فائقة الحد وقد هجموا عدة هجمات سببوا فيها للبلاشفة خسائر فادحة . ومما أرويه لك مع الغرابة والدهش انه ظهرت فرقة جديدة لم يكن لها وجود في الجيش وهي تحارب بحماس وبسالة مستقلة عن غيرها . وقد هجمت هذه الفرقة على معسكر الحمر وأوقعت الاضطراب في صفوفه ورأيناها في اليوم التالي معسكرة الى جانب معسكرنا الايمن . والغريب انه لا يدري أحد من أية جنود مؤلفة هذه الفرقة ونحن لم نهتم بالبحث عنها مادامت معنا والحمد لله على ذلك وأغرب من كل ما ذكرت انهم يقولون أن قائد هذه الفرقة سيدة قال هذا وضحك ضحكا عاليا .

فخفق فؤادي لدى سماعي ذلك وقلت لا ريب انها هي — وظهرت على وجهي علامات الاضطراب . فسألني القائد قائلا لي مالي أراك اهتززت كعصفور بلله القطر . فقلت مجيباً — لا — لا

ان ما سمعته أكد لي ان قائدة تلك الفرقة هي زوجة القائد ايلين بتروفنا فشعرت حينئذ بشعور خاص نحوها وأصبحت قريبة وعزيزة على فؤادي وغدوت أبحث عنها بحنادقيفا فلم استطع معرفة شيء جديد عنها زيادة عما أخبر به القائد زوجها

ما مضى شهر على هذه الحوادث حتى هبت عاصفة الدمار ومزقت شمل الفرق المتطوعة ودخلت جنود البلاشفة الفرم فانزمنتصرة وأخذ الروس المالكيون يهاجرون البلاد . وكان الفؤاد ينوب حزنا وألما لدى رؤيته تزاحم الناس على الهجرة من أولاد ونساء وجنود وملكيين وكان الرائي يخال ان ساعة الحشر دنت وان سيف الهلاك مصلت فوق الرؤوس فازدحمت السفن بالمهاجرين وارتفعت أصوات البكاء والنحيب على الشاطيء واشتد الهرج والمرج وتزاحم الناس بالمناكب وكنت بين تلك الجماهير المتدافعة أسعى للوصول الى الباخرة وفيما أنا على تلك الحالة شعرت بيد امتدت الى جيب معطفي فالتفت بسرعة فلم يقع نظري على من أشتبه به ومددت يدي الى جيبي فوجدت فيها ورقة مكتوباعليها ما يأتي :

« ايها القبطان ! تجلد ولا تصغرن نفسك فاننا لم نضع كل شيء . والمعركة لم تنته بعد والثورات ما زالت لازمة لنا انني سأبقى هنا تشجع وسنلتقي » ناستيا

فأصابني رعشة وخفق فؤادي وتولدت عندي فكرة البقاء هنا بالقرب منها والهلاك معها وسرعان ما رجعت الى الوراء وعينا حاولت العثور عليها ثم أعدت تلاوة الرسالة وخنقتني العبرات التي أخذت تتساقط نقطة نقطة تلو نقطة على خدي ثم وضعت الرسالة على شفتي وقبلتها قبلات عديدة حارة وهمس فمي قائلا ليكن الله معك ويحرسك من كل سوء

ثم صعدت على أثر هذا الى الباخرة التي ماعتمت حتى أقلعت وأخذت تبتعد عن الشاطيء فقلت ودموعي تتساقط : الوداع أيها الوطن العزيز الوداع أيها الاحباء الذين يقيم في الوطن ثم غطيت وجهي بيدي وبكيت منتحبا

وبعد عدة أشهر انتهت خدمتي العسكرية وقصدت الاستانة وصادفت في أحد شوارعها الجنرال بافلوف رئيسي السابق وقد هرم وعبث البياض بلحيته وفقد نشاطه

المعروف فسخنا أول قهوة صادفناها في طريقنا وبعد أن استقر بنا المجلس قال الجنرال.

انك أيها القبطان تصرفت معي تصرفاً مخالفاً للشرف لأني بعد وصولي الى الاستانة علمت أن زوجتي هربت بمعرفتك وموافقتك . لا أنكر ان بين عمري وعمرها فرقا كبيرا فاني بلغت الثانية والخمسين ولا يزيد عمرها على الخامسة والثلاثين ولكن هناك أولاداً يستحقون العطف والعناية الوالدية

نشرت لدى سماعي هذه الكلمات الساحقة ان الدم جرى في عروقي بارداً وقلت وأنا لا أعي ما أقول : أيها الجنرال ! لا تجرأ على القول بأن زوجتك هربت لانها لم تهرب . . . كلا كلا انها . . .

اذن أين هي الآن وماذا جرى لها

فأردت أن أصرح بالحقيقة ولكني أحنيت رأسي وقلت بصوت متهدج ولسان متلعثم لا أدري ايها القائد

وأخذت بعد ذلك أتتبع مجرى الحوادث في روسيا فعلمت ان الثورات تثور هنا وهناك وان البلاشفة يوقعون أشد العقابات على رؤس الثائرين وان الروس الموالين للملك مازالوا يهاجرون من البلاد أفواجاً أفواجاً وكان الجرحى منهم اذا وصلوا الاستانة ينقلونهم توا الى المستشفيات فجعلت اطوف تلك المستشفيات لعلي أقف لها على أثر ودخلت ذات يوم مستشفى فعلمت ان ايلين زوجة القائد تتعالج فيه من جراح أصابتها ولا تسل أيها القاريء الكريم عن هزة السرور التي أصابتني وهرولت مسرعاً الى سريرها وجعلت اقبل يديها مئني وثلاث ورباع وقلت الحمدلله على سلامتك

فقالت وعلامات الكدر بادية على محياها ليتني لم أجرح وليتني لبثت اواصل الجهاد في سبيل الوطن

ثم خرجت مسرعاً وبحثت عن الجنرال ولما وجدته أخبرته خبر زوجته بأنها في روسيا وانها كانت تقود الفرقة المجهولة وقد أبلت بلاء حسنا فأبرقت أسرته لدى سماعه هذا الخبر وبعد فترة من الزمن قلت له وانها وصلت الى الاستانه مثخنة بالجراح فشهق وبكى وانتحب وقال والعبرات تخنقه أقسم عليك بالله أن تقودني اليها لأسجد أمامها واقبل قدميها فقدته الى المستشفى فلما رآها أكب عليها وجعل يقبلها قبلات حارة

ويعتذر اليها عما فرط منه من سوء الظن بها وكان فرح الزوجة بلقاء زوجها شديداً لا يستطيع وصفه واصف حتى انها بكت بكاء الفرح وبعد أيام شفيت من جراحها وخرجت من المستشفى واجتمعت بأولادها وزوجها وكان فرحهم وفرحي شديداً وكنت اتردد على هذه الاسرة الكريمة وأتمتع بلطف حديث تلك القائدة الباسلة التي كانت تروي لنا روايات وقائعها الحربية وما قاسته من الاهوال في سبيل انقاذ الوطن آه .

(عن الروسية)

صحة العائلة

الزكام

يصدر الاخاء في أول اكتوبر القادم « تشرين أول » حيث يتغير الجو ويميل الى الرطوبة ويصاب كثيرون بالزكام وأغلب الناس لا يوجهون التفاتهم وعنايتهم الى الزكام بل يدعونه يسير كما يشاء ظناً منهم أنه مرض بسيط يزول من نفسه وهذا غلط جسيم لأن الزكام كما عرفه الأطباء نوع من الحميات واذا ترك وشأنه أزمن وتحمل المصاب به الأمرين . وقد رأينا من باب الفائدة لقرائنا الكرام أن نكتب لهم كلمة عن هذا الداء فنقول .

الزكام : هذا المرض سببه التهاب الاغشية المخاطية المبطنة للحفر الانفية وهي قد تكون حادة ومزمنة

وصفه : اذا كان حاداً أي حديث الظهور تنتفخ له الطبقة المصلية من الأنف وتحمر مع احساس بالتهابها وميل الى العطاس وصعوبة في الكلام والتنفس وتهيج في الحلق وافراط مخاطي غزير

وقد تصحب هذا الزكام أعراض أشد من هذه فيحس المريض بثقل في الدماغ وألم فيه وفقد في الشهية وقشعريرة وامتقاع في اللون فاذا تقدم المرض يحس بعطش شديد ونبض سريع حتى يصل الى ١٠٠ نبضة في الدقيقة وبحمى خفيفة أو قوية